

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فرديريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

مشاهير الحكماء

جميعكم أيها الحكماء المتمتعون بالشهرة ، قد خدمتم الشعب وما يؤمن به من خرافات ، ولو أنكم خدمتم الحقيقة لما كرمكم أحد ، ومن أجل هذا احتمل الشعب شكوككم في بيانكم المنمق لأنها كانت السبيل الملتوى الذي يقودكم إليه . وهكذا يوجد السيد لنفسه عيداً يلهو بضلالهم الصاخب . وما الإنسان الذي يكرهه الشعب كره الكلاب للذئب إلا صاحب الفكر الحر عدو القيود الذي لا يتعبد ولا يلذله إلا ارتياد الغاب

إن ما حسبه الشعب في كل زمان روحاً للعدل إنما هو العدو الكامن المترصد لروح الحرية يستنح عليها أشد كلابه افتراساً وقد قيل في كل زمان (لا حقيقة إلا في الشعب فويل لمن يطلبها خارجاً عنه)

لقد أردتم أن تؤيدوا الشعب في ما يبدى من خشوع وإجلال ، فدعوتهم هذه المذلة (إرادة الحق) فيا لكم من حكام غير أنكم كنتم تقولون في أنفسكم لقد نشأنا من الشعب وصوت الشعب هو صوت الله فكنتم كالخمار الصبور المراوغ تعرضون وساطتكم على الشعب ، ولكم من ذى سلطان أراد أن توافق عجلته ذوق الشعب فقطار لجرها حماراً صغيراً ، حكماً مشهوراً ...

فيامشاهير الحكماء ، إننى أطلب منكم أن تخلصوا عنكم ما تتلبسون به من جلود الأسود وجلود الوحوش الكاسرة المخططة وفراء المستكشفين للجهل والفاتحين . إذ لا يسعنى أن أؤمن بالحقائق التى تنادون بها ما لم تقلعوا عن بذل التبجيل والتعظيم ، فما رجل الحق إلا الضارب في القفار ولا إله له لأنه

شبيهة بالنخيل الباسقة الأغصان أو بسيقان اللوطس المنتهية أعاليها يبراعيم ذلك النبات ، وكثيراً ما زين المصرى سقوف حجراته برسوم الحمام والفراش الطائرة بين الأشجار . وكان يحلى أرض منزله باللون الأخضر على شكل مستنقعات يسبح بين أعشائها السمك وشاهد بها أحياناً ثيراناً وحشية طاردة للمصافير المحلقة فوق الأعشاب المائلة ، ويرى الناظر أن هذه الطيور تسعى في الوقت نفسه لخلاص صغارها من ابن عرس الذى يريد اقتراسها .

أما الأدوات المنزلية المستعملة يومياً في منازل الأغنياء فجميلة متناسبة الأجزاء تشاهد على أبسطها صنعا مناظر الطبيعة وجمالها المراثيات في خلال القطر المصرى (١) .

وليس هذا هو كل شيء في رقى الصناعات العملية في مصر بل إن هناك خوارق ومعجزات ظهرت على أيدي أولئك الصناع المهرة البارعين ، فالتاريخ يحدثنا بأن الصائغين قد بلغوا في صناعة الحلى دقة لم يسع فني مصر الحديث إلا أن يعترفوا أمامهم بمعجزهم الكامل عن مجاراتها ، وهو ينبتنا كذلك بأن صناع الكؤوس والأكواب قد وصلوا في صناعتهم إلى حد أن يتدعوا أكواباً من الصوان تشف عما في دخلها فيرى في وضوح كما يرى ما هو في داخل الزجاج سواء بسواء ، وأن النساجين توصلوا إلى صنع غلائل من الكتان شفافة لا تصعب ماوراءها ولا ريب أن هذا هو في الصناعة أعلى مراتب الإعجاز . ويحدثنا الأستاذ بريستيد ، في صفحة ٦٦ من كتابه أن مهندسى العمارة والبنائين عرفوا شيئاً كثيراً من علم رفع الأثقال (الميكانيكا) كما يستدل من قبو مقبرة بيت الخلاف يرجع تاريخها إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد وغير ذلك مما يبرهن على أن العلوم العقلية والعملية كانت قد وصلت في مصر إلى أبعد مدى تستسيغه تلك العصور .

هذا ، ولما كانت الفلسفة الهندية هي أهم الفلسفات الشرقية جميعها بعد فلسفة مصر من ناحية وأقدمها إلا الفلسفة المصرية من ناحية أخرى فقد أثرتنا أن نثني بها بعد أن بدأنا بفلسفة وادى النيل التى هي مبدأ الجميع في رأى أدق العلماء والباحثين .

(ينج)

محمد غنم

(١) راجع صفحة ٦٧ من كتاب الأستاذ بريستيد

لاقامة صرحه ، وما يصعب على العقل أن ينقل الجبال ، فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟

إنكم لا تلحون من العقل إلا ما يقذف به من شرر ، فلا تعرفون ، أى سند أن هو هذا العقل ، ولا تعرفون أيضاً قساوة المطرقة التي تنهوى عليه

والحق أنكم تجهلون كبر العقل ويصعب عليكم احتمال تواضعه لو أراد تواضع العقل أن يعلن حقيقة

إنكم ما تمكنتم في أى زمان من إرسال عقلكم إلى مهاوى الثلج ، فباكم الحرارة الكافية لاقتحامها ، ولذلك لا تدركون لذة من تنعشه لفحات هذه المهاوى ، غير أتى أراكم بالرغم من هذا تقدمون على مداعبة التفكير ، وقد جعلتم الحكمة ملجأ ومستشفى للتشاعرين ...

لستم عقباناً أيها الحكماء المشتهرون ، فأتم إذا لا تدركون ما يلد العقل من لذة في ارتياعه ، فلا يحق لغير المجنح أن يخترق الهواء فوق الوهاد

ما أنتم إلا قاترون أيها الحكماء ، وفي كل معرفة عميقة يهب تيار من الصقيع لأن يتايع العقل الخفية باردة كالثلج ولا تلد يبردها غير الأبدى الملتبئة بحرارة جهادها

إتى أراكم أمانى أيها الحكماء المشتهرون ملفعين بقساوتكم جامدين على غروركم فما للريح أن تدفعكم ولا للإرادة أن تهيب بكم إلى الاقدام

أما رأيتم على مضطربات الأمواج شراعا خفاقا يندفع وقد عصفت في ثنياته هوجاء الرياح . إن حكمتي تجتاز العمر خافقة كهذا الشراع وقد ملائمتها عواصف التفكير ، تلك هي حكمتي الشاردة النفور . فهل لكم أن تجاروني في اندفاعي أتم يامن تخدمون الشعب ، أتم مشاهير الحكماء

هكذا تكلم زارا ...

نُسب الليل

لقد أرخى الليل سدوله فتعالى خرير المياه المتدفقة ، ونفسي أيضاً ينبوعها المتفجر

لقد أرخى الليل سدوله فتعالت الأناشيد من أفواه جميع

حطم بين جنبيه قلب التجيل والتعظيم وإذا هو تلفت ورمال الصحراء تحرق قدميه إلى الواحات حيث يتدفق الماء الزلال ، ويمتد وارف الظلال ، وترتاح الحياة ملقية عصا الترحال ، فلا يقتاده الظلم إلى الاتجاه نحوها طلباً للاغتياب بين المغتبطين لأنه يعلم أن لكل واحدة أصنامها ، وما يريد الأسد إلا الافراد محرراً من عبودية الأرباب ومن سعادة المستبدين ، بعيداً عن الآلهة والمتعبدين وعن الخوف ومنزليه في القلوب ، ذلك ما يصور رجل الحق إليه . وما عاش رجال الحق إلا في القفار يسودونها بانطلاق تفكيرهم في مجالها الواسع . وهل في المدن إلا مشاهير الحكماء يتناولون خير الغذاء كذوات الضرع تغذى لتحلب . ويجرون عجلة الشعب وقد كُدنوا بها كالخير

وما أنا بالنافق عليهم ولكن ليعلموا أنهم خدم مشدودون إلى عجلة وما يرفع من ذلم توهج الذهب على العجلة التي يجرونها

ولطالما أخلص هؤلاء الناس في خدمتهم فاستحقوا الثناء لأن الحكمة تقضى بأن يفتش الخادم عن سيد يستفيد من خدماته

لقد وجب أن يتسامى عقل سيدك وتعلو فضيلته لأنك بهما تعلو أنت

والحق أنكم قد علوتم بارتقاء عقل الشعب وفضيلته ، أيها الحكماء الخادمون للشعب كما اعتلى هو بكم ، وما أعلن هذا لتجيدكم ، فإنكم قد بقيتم أتم شعباً حتى في فضائلكم ، وما تزالون شعباً لا بصيرة له ، ولا يدرك للعقل معنى

إنما العقل حياة تمزق الحياة تمزيقاً ، وما تزداد الحياة معرفة إلا بما تتحمل من آلام ، فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟ لا يسعد العقل إلا إذا مسح بالدموع وتوج بالضحية فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟

إن عماء الضرير وتلبسه لطريقه إنما هو شهادة لقوة الشمس ، التي حدق بها فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟ على طالب المعرفة أن يتعلم البناء باستخدامه الجبال حجارة

إن شمساً لا أعداد لها تدور في قفار الأجواء مخاطبة
بأشعاعها لبدات الظلام وأنا وحدي محروم من حديث هذه
الشموس وبياناتها .

ويلاه ! أية علاقة يمكن أن تربط الأنوار بالأجرام المنيرة
من نفسها ؟ فإن الأنوار تمر عليها وهي تحدجها بلفقات الجفاء
وتمضي ذاهبة في سبيلها ، وهكذا تسير جميع الشموس في أجوائها
نافرة من كل جرم منير باردة لا تحس اخواتها بحرارتها .

إن الشموس تندفع كالعاصفات في أبراجها متبعة ما
اختطته لإرادتها الجبارة وفي ذلك كتمان حرارتها وبرودتها .

هل غيرك أيتها الأجرام الملقعة بظلام الليل من يخاف
حرارة من اللعان ؟ أنت وحدك ترضعين أفويق القوة
من انداء النور .

ويلاه إن الصقيع يدور بي ويدي تحترق من لفحات
الجليد ، فأنا مشتعل بسعار لا يطفى أواره غير عطشكم ، لقد
سادت الظلمة فلماذا قضى علي أن أكون نوراً منفرداً متعطشاً
إلى الظلام ؟

لقد سادت الظلمة فندقت كالجداول اشواق وهي تريد
أن تهتف بما تضمر .

لقد أرخى الليل سدوله ، فتعالى خرير المياه المتدفقة ،
ولنفسى أيضاً ينبوعها المتفجر .

لقد أرخى الليل سدوله فتعالت الأناشيد من أفواه جميع
المفرمين ، وما روجي إلا نشيد من هذه الأناشيد .
هكذا تكلم زارا . . .

المفرمين ، وما روجي إلا نشيد من هذه الأناشيد . إن في داخلي
قوة ثائرة تريد إطلاق صوتها وهي شوق إلى الحب بيانه بيان
المفرمين . أنا نور وليتي كنت ظلاماً ، وما قضى علي بالعزلة
والانفراد إلا لاني تلفعت بالأنوار . ولو أنني كنت ظلاماً ،
لكأن لي أن أعلق بأسداء النور فأقع من درها غلتي ، لكن
لي أن أرسل بركتي إليك أيتها النجوم المتألقة كصغيرات
الجباحب في السماء إذا تمتع بما تدرين علي من شعاع . غير أنني
أحيا بأنوارى فأتشرب اللهب المندلع من ذاتي وقد حرمت
لذة الآخذين ، وقد خطر لي مراراً أن في السرقة من اللذة
ماليس في الآخذ .

إن يدي لا تقف عن البذل وذلك هو فقرى فأنا أنظر أبداً
إلى العيون يملأها الانتظار وإلى الليالي تلهبها الأشواق ، وذلك
هو الحسد الذي يقض مضجعي

يا لشقاء الواهين ... يا لظلمة شمسى ويا لشوق إلى الاشتياق
ويا لشدة المجاعة في شعبي

إنهم يأخذون ما أهمهم ولكنني أبقى بعيداً عن أرواحهم
فإن بين البازل والآخذة عميقة ، ولعل أقرب الأغوار
قراً أصعبها ردماً

إن نزعاً من الجوع ينشأ في أحشائي فيخفزي إلى إبلام
من أرسل إليهم أنوارى ، فأنتوق إلى سلب من أغدق عليهم
هباتي وهكذا اتعطش إلى إيقاع الأذية فأرد يدي بعد أن
أكون مددتها وأتردد تردد الشلال في تدفقه نحو مرامي

إن مثل هذا الانتقام يراود عظمي ، ومثل هذا المكر
ينشأ من عزلي

لقد فقدت السعادة في المعطاء لوفرة ما أعطيت وقد زهقت
فضيلتي من نفسها ومن جودها ، إن من يستمر على بذل الهبات
مهتد بفقد الحياء . ولا بد أن تصلب راحته ويتصلب قلبه .
لم تعد مآقي تذرف الدموع على خجل المسترحين وها إن
يدي قست حتى امتنع عليها أن تشعر بارتعاش الأيدي إذا
امتلاّت .

أين هي دموع عيني وأين رقة قلبي . فيا لوحدة جميع
الواهين ويا لصمت كل متلفع بالسنا .

أطلب مؤلفات
الاستاذ الشاذلي شبيب
وكتابه
السلام الصحيح
من: مكتبة الرشد ، شارع الفكري (باب للدر)
ومن: المكتبات العربية المشرفة